

# استراتيجية العمل الفدائي

بصام عير كرم

## استراتيجيات مختلفة

هناك اذن استراتيجيات تشكلها القوانين العامة للحرب الثورية . . ومع ذلك فهناك استراتيجيات للحروب الثورية أو الفدائية . وتدخل في تحديد هذه الاستراتيجيات أيضا العوامل المحددة لطبيعة الاختلافات بين حرب ثورية شعبية وحركة مقاومة مسلحة وحركة فدائية محدودة . وبين هذه الكيانات الثورية اختلافات نوعية واختلافات في الدرجة . العمل الفدائي على أرض وطن محتل على النحو الذي تشكله المقاومة الفرنسية على أرض فرنسا في ظل الاحتلال النازي في الاربعينات يمثل مستوى نوعيا من العمل الفدائي الثوري . . وله استراتيجية خاصة . فالمقاومة المسلحة هنا تتم داخل الوطن الواحد ضد حكم عسكري أجنبي محاط بشعب معاد في مجموعه لهذا الاحتلال . ومهما قيل من ان الاسلحة كانت تأتي لمنظمات المقاومة من خارج فرنسا فان عمليات المقاومة الفرنسية كانت تتم داخل البلاد بأيد فرنسية ضد منشآت العدو ، حتى وان كانت في أصلها منشآت فرنسية . هنا لم تكن المقاومة الفرنسية تستهدف الاحتلال التدريجي لمناطق فرنسية ورفع السيطرة العسكرية النازية عنها . انما كانت تستهدف جعل وجود هذا الاحتلال على أرض فرنسا أمرا غير محتمل من نواحيه الاقتصادية والنفسية ، ربما قبل نواحيه العسكرية . فكانت المقاومة الفرنسية عملا مرحليا في انتظار عمل أساسي تقوم به جيوش الحلفاء ، ثم مساعدا لهذه الجيوش عندما شرعت ومضت في القيام بدورها .

العمل الفدائي لمنظمات التحرير في مستعمرات البرتغال في افريقيا ليس مجرد « مقاومة » وانما هو حرب تحرير لها استراتيجيتها الخاصة التي ترمي الى الوصول الى التوازن مع قوة العدو المستعمر . ثم شن الهجوم عليه والزحف لتحرير الارض المستعمرة شيئا فشيئا واقامة سيطرة متحررة عليها عسكريا واداريا واقتصاديا ، وان لم تشمل هذه السيطرة أرض الوطن كله في وقت واحد .

العمل الفدائي في دول أميركا اللاتينية - في بوليفيا وفنزويلا مثلا - نشاط داخلي ضد قوة داخلية في الأساس مهما كانت المساندة الاستعمارية الخارجية لاحد الطرفين هو هنا عمل يستهدف اسقاط النظام وليس اخراج قوة احتلال . ولهذا العمل الفدائي في هذا المستوى أيضا استراتيجيته الخاصة .

وبهذا المعنى فان العمل الفدائي يمكن أن يكون في اطار حرب وطنية بين شعب وطني معين وقوة خارجة عنه - أو في حرب طبقية ، بين طبقتين أو أكثر في وطن واحد حتى وان كانت جميعها تتم في مرحلة من التطور التاريخي العالمي واحدة .

ان كلمة الاستراتيجية في مصطلحات الحرب يفهم منها انها تعني تحليل الاهداف التي يراد انجازها ، واضمين في الاعتبار موقفا عسكريا كليا وكل الوسائل لبلوغ هذه الاهداف . ولكي نصل الى تقدير استراتيجي سليم من وجهة النظر الفدائية - من الضروري القيام بتحليل أساسي لمنهج العمل الذي سيلجأ العدو اليه . وقوته البشرية وقدرته على الحركة وما يلقاه من تأييد شعبي وما لديه من سلاح وقيادة . وعلينا بعد ذلك ان نضع الاستراتيجية التي تفضل غيرها

- التتمة على الصفحة ١٧٢ -

السؤال الاساسي والاول الذي يطرحه التفكير في موضوع استراتيجية العمل الفدائي ، والذي لا يمكن دون الاجابة عليه الانتقال من التجريد النظري في الموضوع الى مستوى التطبيق وحفر ارض الواقع ، هذا السؤال هو : هل هناك استراتيجية واحدة لكل عمل فدائي ؟ وبعبارة اخرى ! هل استراتيجية العمل الفدائي في دول امريكا اللاتينية . . مثلا هي استراتيجية العمل الفدائي في فييتنام ، هي استراتيجية العمل الفدائي في فلسطين المحتلة ، أو في المستعمرات البرتغالية في افريقيا . . ؟

لقد رسخ مفهوم الاستراتيجية كواحد من المفاهيم العلمية التي لا غنى عنها في تحديد قضايا العمل الثوري بكل أبعاده السياسية والعسكرية بعد ان كان مفهوما قاصرا على الجهد الحربي البحت . بل ان استعادة مفهومي الاستراتيجية والتكتيك من قواميس الحرب لاستخدامها في قواميس الثورة والتحرر الوطني والنضال الشعبي لم يكن من ضروب الصدفة ، بل كانت له أسبابه الموضوعية ودلالاته . فانه لا يمكن قيادة حرب ثورية دون دراسة قوانين الحرب الثورية كما ان « قوانين الحرب . . هذه مسألة ينبغي على أي امرئ يدير حربا ثورية أن يدرسها وان يظلمها » ( ماوتسي تونغ ) .

لكن . . ليست هناك فحسب قوانين مطلقة للحرب الثورية ، بل هناك قوانين أيضا لكل حرب ثورية على حدة . فان قوانين الحرب - حتى القوانين العامة الاستراتيجية منها - تتطور ، وتطورها مرتبط بواقع البيئة التي تدور فيها وظروفها وكوادرها الثورية ومقاتليها . وهذا هو بالتحديد المعنى الذي قاله ماوتسي تونغ - في واحد من أشهر المؤلفات عن « استراتيجية الحرب الثورية » - « انه لا ينبغي علينا وحسب أن ندرس قوانين الحرب بشكل عام ، بل يجب علينا أن ندرس القوانين الخاصة بحرب ثورية بعينها » .

ولا يعني هذا بأي حال من الاحوال ان هناك جدارا أو حائطا صينيا عظيما ، يفصل بين تطور الحروب الثورية المختلفة ، ولا يعني ان فييتنام تجربة لا تستحق النظر طالما ان فييتنام بلد غابات ، وفلسطين بلد سهول ! وانما هذا يعني في الأساس ان تدار الحرب الفدائية باستراتيجية متطورة تدرس قوانين الحرب العامة كما تدرس قوانين الحرب الخاصة لثورة معينة أو حركة مقاومة بعينها . والامر ليس مجرد أمر البيئة الجغرافية . . ان الاستراتيجية الفدائية تضع في حساباتها اعتبارات أخرى وأهم . . هي اعتبارات الواقع الاقتصادي والاجتماعي والتطور التاريخي للبلد المعين . فاستراتيجية الحرب الثورية في فييتنام تضع في الاعتبار كل هذه العوامل :

- طبيعة النظام الاقطاعي الخاضع للاستعمار السائد في الجنوب الفيتنامي .
- طبيعة التركيب الطبقي للمجتمع في فييتنام الجنوبية .
- وجود الشمال الفيتنامي المتحرر وواقعه الاقتصادي والعسكري .
- وجود العسكر الاشتراكي والتقدمي وامكانياته الاقتصادية والدفاعية أيضا .

اما الطبيعة الجغرافية للبلد المعين فانها ليست سيفا قاطعا يامر بشن الحرب الثورية الفدائية في بلد وبالامتناع عن هذه الحرب في بلد آخر ، بل ان الدور الذي تلعبه الطبيعة الجغرافية للبلد المعين لا يكاد يغير الا من تكتيكات العمل الفدائي واساليبه المؤقتة .

## استراتيجية العمل الفدائي

— تتمه المنشور على الصفحة ٣٠ —

تنظم أولا ثم تبدأ بعد ذلك .  
ولكن الفرق الاهم بين « المقاومة » وحركة حرب العصابات يكمن في انه لا يمكن نصفية المقاومة عامة ، انما هي تنتهي فقط عندما يتم طرد الغزاة . اما حركة العصابات الثورية فاما أن تنتهي بالنجاح في استبدال الحكم القائم أو تنتهي بتصفيتها هي .

### البعد السياسي للعمل الفدائي

ورغم هذه الفروق فان العمل الفدائي كما تقوم به حركة المقاومة لا يختلف كثيرا عن العمل الفدائي كما تقوم به حركة حرب عصابات ثورية . كلاهما يركز من الناحية الاستراتيجية على مبدأ الا يتحول في أي وقت من الاوقات الى هدف يضربه العدو . كذلك فان العمل الفدائي في الحالىين « تقوم به القلة ، ولكنه يعتمد على الكثرة » ، ورغم انه يعتبر من أكثر صور العمل العسكري فردية فهو يعمل بفاعلية ولا يحقق غاياته الا اذا دعم جماعيا بعطف الجماهير وتأييدها .  
ومن هنا كانت ضرورة « دراسة العلاقة بين الحرب الفدائية والسياسة الوطنية » وهو المبدأ الذي على أساسه قال ماوتسي تونغ ابان الحرب الثورية الصينية : « لما كانت مقاومتنا تحمل طابع مقاومة البلاد شبه المستعمرة ضد الامبريالية ، فان من الضروري أن نحمل عملياتنا الحربية أهدافا سياسية محددة بصورة واضحة وأن نحمل مسؤوليات سياسية أساسية وثابتة » . وعلى أساس هذا المبدأ نفسه وغيره من مبادئ « استراتيجية الحرب الثورية » حدد الزعيم الصيني سبعة أهداف لتحقيق التحرير :

- اثاره الشعب وتنظيمه .
- تحقيق الوحدة الداخلية السياسية .
- اقامة القواعد .
- تجهيز القوات بالمعدات .
- بعث القوة الوطنية .
- تحطيم قوة العدو الوطنية .
- استعادة الاراضي السليبة .

ومن الواضح أن من بين الاهداف السبعة ثلاثة أهداف سياسية تتعلق بتعبئة الجماهير وراء الحرب الفدائية أو هي اثاره الشعب وتنظيمه ، بتحقيق الوحدة الداخلية السياسية وبعث القوة الوطنية . وفي هذا المعنى نفسه قال غيفارا :

« ينبغي في الوقت السدي نقيم فيه مركزا لدراسة عمليات المستقبل ، أن نقوم بعمل مركز وسط الشعب ، شارحين أهداف الثورة وأساليبها ، ناشرين الحقيقة التي لا بديل لها وهي انه بدون الشعب لا يمكن أن يكون انتصار . أما أولئك الذين لا يفهمون هذه الحقيقة التي لا شك فيها فهم لا يمكن أن يكونوا فدائيين » .  
ويكمل هذا البعد أو العمق السياسي للعمل الفدائي المعنى الذي عبر عنه غيفارا في كتابه عن حرب العصابات : « ان الانسان - لا السلاح ولا المال - هو العنصر الحاسم في الكفاح المسلح ، ولذا فان واجب الثورة أن تتعهد ببناء الانسان الثوري » .

والانسان الثوري هو - بلا خلاف - الانسان الذي يستطيع أن يتحرك وسط الجماهير مكتسبا ثقافتها بأنه يعمل لقصيتها ، مكتسبا تأييدها لنشاطه مهما كان ثمن هذا التأييد ، مكتسبا كوادرا جديدة لحركته في وسط هذه الجماهير نفسها .

وإذا كانت القوانين الاستراتيجية للحرب الفدائية - سواء كمقاومة مسلحة أو حرب تحرير ثورية شاملة - تختلف وتتطور مسن مجتمع لآخر ومن فترة تاريخية لآخرى ، فان اعتباراتها السياسية أيضا تتغير وتتطور بنفس القدر .

فالاعتبارات السياسية الاستراتيجية للعمل الفدائي في بلد شبه مستعمر كالصين في الثلاثينات والاربعينات من القرن الحالى غير الاعتبارات السياسية لها في بلد « مفتصب » تماما كفلسطين تعيش

في مواجهة هذه العوامل ، أخذين في الاعتبار دائما ان الهدف النهائي تحطيم جيش العدو . وعندما تتم هذه الدراسة وتستكمل تقييم الاهداف وتحليلها يفدو من الضروري أن تدمي بتخطيط الاجراءات التي تضمن تحقيق الهدف النهائي .

اما التكتيك فهو يعني في الاصطلاح العسكري الاساليب العملية التي تستخدم لتحقيق الاهداف الاستراتيجية والتكتيك بالمقارنة بالاهداف النهائية أكثر مرونة وقدرة على الحركة .

وتقضي القوانين الاستراتيجية العامة اذن بتحليل خصائص العدو المميزة ، وخصائص الحركة الفدائية نفسها المميزة بالاضافة الى تحليل الموقف الداخلي وتحليل الموقف الدولي أيضا .

### الحرب الفدائية . . ظاهرة العصر

وللحرب الفدائية في ذاتها - ونعني حرب العصابات - خصائصها وأهدافها التي تتميز بها ، ومن أهم هذه الخصائص انها سلاح تستخدمه البلاد الفقيرة في سلاحها ومعداتها العسكرية ضد بلاد أقوى منها . ولعل هذه الناحية بالذات هي السبب الجوهرى في ان حرب العصابات أصبحت مظهرا ضخما في صراعات القرن الحالى أكثر من أي وقت مضى . فقد غدت حروب العصابات في الحرب العالمية الثانية منتشرة كل الانتشار حتى أصبحت ظاهرة عالمية وتطورت ونمت فسي جميع البلاد الاوروبية التي احتلها الالمان ، وفي منطقة الشرق الاقصى التي احتلها اليابانيون .

ويعزو « ليدل هارت » - المؤرخ العسكري الاميركي - نحو حرب العصابات في كل هذه المناطق مستثنيا الصين - الى كتابات لورانس المعروف باسم « لورانس العرب » ، التي كانت في رأيه « ثمرة للتجارب المشتركة التي خاضها لورانس وما انطوت عليه من انعكاسات أثناء الثورة العربية ضد الاتراك » .

وقد انتشرت حرب العصابات مسن الشرق الاقصى الى الشرق الاوسط وقبرص واميركا اللاتينية باعتبار انها الاسلوب الناجح الوحيد في مواجهة تعاطف القوى العسكرية للدول الاستعمارية . وباعتبارها الاسلوب الوحيد أيضا للاستفادة من « ميزان الرعب النووي » وبواجهة القوى العسكرية الضخمة بأسلوب يعجزها عن استخدام قوتها الضاربة الذرية . وقد أعلن ريتشارد نيكسون الرئيس الاميركي الحالى - في عام ١٩٥٤ ، وكان نائبا للرئيس الاسبق ايزنهاور - « اننا تبيننا مبدأ جديدا . فبدلا من أن نسمح للشيوعيين بأن ينهشوا منا بصورة متدرجة حتى نهوت فسي طول العالم وعرضه عن طريق الحروب الصغيرة ، سنعتمد فسي المستقبل على قوائنا الانتقامية المتحركة الضخمة » .

وكان تعقيب المؤرخ العسكري هارت على هذا بقوله : « ان ما انطوى عليه هذا القول من تهديد باستخدام الاسلحة النووية في وقف حروب العصابات هو شيء في غاية السخف ، اذ كان أشبه بمن يتحدث عن استخدام المطرقة الكبيرة في القضاء على سرب البعوض » .

على أن من المهم للغاية أن نراعي الفرق بين المقاومة على النحو الذي كانت تمثله فرق الانتصار فسي أوروبا ابان الاحتلال النازي ، وحركات العصابات الثورية . الاولى تفتقر عادة الى المضمون العقائدي الذي يميز الاخيرة دائما . وتتميز المقاومة بطبيعتها التلقائية ، فهي تبدأ أولا ثم يجري تنظيمها بعد ذلك . أما حركة العصابات الثورية - على النحو الذي تمثله الحركات الثورية في اميركا اللاتينية - فهي

جماهيره خارج وطنها ، باستثناء قلة قيعة الحركة تماما . وهذه ايضا تختلف عن الاعتبارات السياسية لاستراتيجية العمل الفدائي في بلد مثل انغولا حيث المستمر - رغم طول بقائه على الارض - لا يزال غريبا ولا يزال مجرد محتل ، حتى وان اتخذ الاحتلال صورة الاستيطان فان الاستيطان لم يحول أهل الوطن الانغولي نفسه الى اقلية . . وانما بقي السنونون البرتغاليون المستعمرون هم الاقلية في بحر الاغلبية الشعبية الافريقية من الانغوليين .

## الراي العام العالمي

يبقى من الاعتبارات السياسية بعدها الدولي . ونعني به الموقف العالمي الرسمي وغير الرسمي من البلد المعين وحركة المقاومة المعينة . فحركة التحرير الشعبية في موزمبيق مثلتنا ناضل ضد بلد مستعمر - هو البرتغال - يوصف بهذا الوصف رسميا في ملفات الأمم المتحدة ويتم التعامل معه على انه البلد المستعمر المسؤول . فلا جدال بين هيئات الراي العام العالمي الرسمي أو غير الرسمي على ان وجود البرتغال في موزمبيق وجود استعماري ، مهما تحدثت البرتغال عن « رسالتها الحضارية والمسيحية في افريقيا السوداء » . ولكن ماذا عن فلسطين ؟ ان العمل الفدائي الفلسطيني هو أمام الراي العام العالمي - الرسمي على الاقل ، ان لم يكن الرسمي وغير الرسمي مما - يناضل ضد وجود « شرعي » من وجهة النظر الشكلية والقانونية سواء في الامم المتحدة أو خارجها ، هذا الوجود المعترف به دوليا هو اسرائيل ، مما يجعل حدود حركة العمل الفدائي الفلسطيني - على الصعيد العالمي - مقيدة بهذا الاعتبار ، مقيدة بمقاومات عديدة تترتب على هذا الاعتراف الدولي بـ «دولة اسرائيل» و « حق اسرائيل في الوجود » . ان العمل الفدائي الفلسطيني يناضل ضد دولة لا ينظر اليها على انها مستعمرة لفلسطين ، وانما ينظر اليها على انها هي القوة الوطنية القائمة على أرض فلسطين ، وهي عضو في الامم المتحدة ، لا يوصف بأنه حكومة مستعمرة وانما ينظر اليها على انها الدولة التي تقبح حدودها الاصلية على أرض فلسطين وليست لها حدود « فيما وراء البحار » .

وتتمد الجوانب النظرية لموضوع استراتيجية العمل الفدائي الى تفصيلات عديدة صنعها الفكر النظري الثوري والتجارب العملية الثورية للشعوب والقيادات التي سبقت الى استخدام أسلوب « الحرب الثورية » لتحقيق أهدافها ضد قوى عسكرية كبرى . ويعد أهم تراث للفكر النظري المعاصر في موضوع استراتيجية حرب العصابات أو استراتيجية العمل الفدائي ذلك الذي تمثله كتابات ماوتسي تونغ عن استراتيجية الحرب الثورية وكتابات فيفارا عن حرب العصابات وكتابات هوشي منه وجنرال جيباب عن النضال التحرري المسلح في التطبيق الفيتنامي .

وليس هنا مجال التفاصيل العديدة والدقيقة لنظرية الحرب الثورية واستراتيجيتها .

الان يتضح من النظرة العامة الشاملة الى حركات التحرير الثورية في أهم تجاربها المعاصرة - الصين وكوبا وفيتنام - ان هنالك مثلنا يشكل الاطراف الرئيسية للصراع من حيث عناصره البشرية :  
اولا - الفئة الثورية الطبيعية .  
ثانيا - جماهير الشعب .  
ثالثا - النظام الحاكم الاستعماري أو الموالي للاستعمار والمرفوض من الشعب .  
ومن الواضح انه اذا اقتضت هذه العناصر على العنصرين البشريين الاول والثالث ، أي اذا غاب عنصر حضور جماهير الشعب كطرف أساسي في الصراع الثلاثي ، فان الحركة لا ترقى الى مستوى حرب التحرير الثورية وتبقى حركة حرب عصابات محدودة أو حركة مقاومة لنظام حكم . وتوفر العنصر البشري الثاني - الذي تمثله جماهير

## موقع العمل الفدائي الفلسطيني

ويصبح السؤال المطروح الآن أمامنا - وحركة المقاومة الفلسطينية هي همتا الرئيسي في القضية القومية وفي القضية الوطنية الفلسطينية في وقت مما - هو : أين موقع العمل الفدائي الفلسطيني من هذه المقولات الاساسية في استراتيجية الحرب الثورية ؟  
ومن الخطأ عند الإجابة على هذا السؤال - ان نبحث عن اجابة استاتيكية ( ثابتة ) تحاول ان تصنف العمل الفدائي الفلسطيني تصنيفا نهائيا بأنه مقاومة مسلحة أو مقاومة شعبية أو حرب عصابات أو حرب تحرير ثورية .

فانه برغم الخلفية التاريخية للمقاومة الفلسطينية ضد السيطرة اليهودية والتوسع الصهيوني في فلسطين منذ العشرينات ، فان العمل الفدائي بصورته ونوعيته ومداه الحالي في فلسطين حديث العهد في مواجهة العدو الاسرائيلي في صورته ونوعيته وقوته الحالية . واذا كانت نكسة يونيو « حزيران » ١٩٦٧ قد فجرت للعمل الفدائي الفلسطيني طاقات لم تكن قد خرجت من مرحلة الكمون قبل ذلك ، فانها - على الجانب الآخر من الرؤية - قد اوضحت مدى استفادة العدو من سنوات حكمه الاستيطاني التوسعي على أرض فلسطين فيما لم تتح الفرصة للعمل الفلسطيني لدخول مجال المقاومة المسلحة لفترة طويلة ، ثم لم تتح له الفرصة للتصاعد من مرحلة المقاومة المسلحة المحدودة الى مرحلة التعبئة الشاملة الفلسطينية لحرب ثورية ، وبعد ذلك الى مرحلة التعبئة الشاملة العربية لحرب ثورية تحرر أرض فلسطين وتلقي الكيان الصهيوني .

لقد حقق العمل الفدائي الفلسطيني خلال فترة قصيرة نجاحات

## دار النعمان

تقدم باكورة منشوراتها

### ١ - تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي

بقلم الدكتور أسعد علي

تقديم جديد لكتاب العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في فقه اللغة العربية وتطورها .

### ٢ - فن المنتجب العاني وعرفانه

تأليف الدكتور أسعد علي

كتاب في النقد الادبي والفلسفي

نال صاحبه عليه درجة الدكتوراه

بمرتبة امتياز مع الشرف الاولى

لا يستطيع أن يضع في استراتيجيته أهدافا أساسية هي جزء من استراتيجية العمل الفدائي لحركات التحرر الوطني . هل تستطيع الثورة الفلسطينية أن تجتذب الفرد اليهودي الإسرائيلي لتسحب البساط من تحت أقدام الحكم الإسرائيلي لتقسيم حكما تحروريا ؟

هناك رأي يقول أن هذا ممكن . فقبل النكبة ( ١٩٤٨ ) كان هناك بريطانيون يحاربون في صفوف الثورة الفلسطينية ، وأنه يوجد اليوم نفر قليل من الزوج الأميركيين الهاربين من الخدمة يحاربون في صفوف الثورة الفيتنامية .

والرد على هذا الرأي هو من واقع هذه الامثلة نفسها . ان القلة من البريطانيين التي حاربت الى جانب العرب - حتى على فرض صحة هذه الواقعة المشكوك فيها أو على الأقل المشكوك في الهدف من ورائها - لم تغير الموقف العسكري الكلي في فلسطين ولم تسحب البساط من تحت أقدام الحركة الصهيونية . والقلة من الزوج التي تحارب الى جانب الثوار في فيتنام لم تسحب البساط من تحت أقدام الحكم في واشنطن .

وبصرف النظر عن كل هذه الاعتبارات فان الثورة الفلسطينية لا تستطيع - ولا يمكن أن تفكر في أن تضع في استراتيجيتها - أن تقدم نفسها لليهود الاسرائيليين كبديل أفضل عن نظام الحكم الاسرائيلي !! وقد عبر عن هذا الرأي بصورة محددة أحد قادة « فتح » في حديث مع أ. زاباتا نشرته مجلة « Tricontinental »

التي تصدرها منظمة تضامن شعوب القارات الثلاث في هافانا . . . اذ قال : « يتعين على حركتنا أن تواجه مصاعب كثيرة . انها تختلف كثيرا عن حركات التحرير الوطني في أميركا اللاتينية في عدد من الجوانب وعن كل حركات التحرير الوطني الأخرى في جوانب أخرى . فنحن لا نستطيع - مثلا - أن نعمل على تأييد العمال والفلاحين أو أية مجموعة من الشعب - مهما كانت - داخل اسرائيل . فقد أعلنوا جميعا عداوتهم لنا : رغم أن نضالنا ضد الامبريالية ومن أجل تحرير وطننا . والجانب الآخر هو الارض ، فحيث انه لا توجد جبال أو سهول تغطيها الغابات يتعين علينا أن نقوم بعملياتنا الفدائية في مناطق خالية تماما من المزروعات ، وهذا هو السبب في أننا لم نتمكن من استخدام الخبرات الثورية للشعوب الأخرى استخداما أفضل . ان علينا أن نخلق مناهجنا الخاصة وتكتيكاتنا الخاصة باستمرار » .

وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة لطبقات المجتمع الإسرائيلي فان التركيب الطبقي للشعب الفلسطيني نفسه يفرض مشكلة خاصة بالجانب السياسي لاستراتيجية العمل الفدائي الفلسطيني ، ذلك ان العدو الإسرائيلي قد قضى أصلا في عام ١٩٤٨ على البورجوازية الفلسطينية الكبيرة وشنت قسما كبيرا من البورجوازية الفلسطينية الصغيرة وفتشت في مجالات العمل المختلفة في البلاد العربية . ويلاحظ

تكتيكية باهرة ، خاصة في ضوء ما لدى العدو من قوة رادعة وما صار اليه من وضع استراتيجي ممتاز نتيجة لانتصاره العسكري في معارك يونيو ٦٧ في جبهاتها الثلاث . ولكن الأمر المؤكد ان العمل الفدائي الفلسطيني في حدود حركته الحالية لا يرمي الى الوصول الى الهدف الاستراتيجي الرئيسي لاي حرب تحرير ثورية وهو تحقيق التوازن مع قوة العدو كخطوة أولى ضرورية الى الحاق الهزيمة به . تماما كما ان المقاومة الفرنسية للنازي في الحرب العالمية الثانية لم تكن ترمي استراتيجيا الى القيام بمهمة اخراج جيوش هتلر من فرنسا . ويرغم فارق هام هو ان المقاومة الفرنسية كانت مقاومة يظاها الشعب الفرنسي وتظاها مساعدات الجيوش النظامية للحلفاء التوونيين والغيبسة .

## الاهداف التكتيكية

وفي المرحلة الحالية من العمل الفدائي الفلسطيني فانه قادر على تحقيق العديد من الاهداف التكتيكية - الهامة والضرورية - ولكنه يظل دون مستوى الاهداف الاستراتيجية لمعدة اسباب :

- انه لم يتم بعد تعبئة الجماهير الفلسطينية لمظاهرة العمل الفدائي ودعمه وتطعيمه باستمرار .
- انه لم يتم بعد توحيد منظمات العمل الفدائي الفلسطينية للوصول بين الاستراتيجية العسكرية للعمل الفدائي والاستراتيجية السياسية للعمل الوطني الفلسطيني ككل .
- ان العدو الاسرائيلي يقيم استراتيجيته على منع المعارك أصلا من الاستمرار على « أرضه » وينطبق على هذا المعارك التي يخلقها العمل الفدائي ، خاصة اذا بدأت تتحول الى عمليات أوسع نطاقا وأعمق بعدا وتأثيرا .

- ضخامة امكانيات العدو الذي تسانده قوى امبريالية تضع فسي متناوله باستمرار امكانيات ضخمة بديلة ولا تسمح بحدوث هزائم « استراتيجية » له باعتباره قاعدة هامة لها في المنطقة .

- عدم وجود الخطة العامة للربط بين استراتيجية العمل الفدائي الفلسطيني ، واستراتيجية الدفاع العربي ، والثاني يمثل البعد الاعمق للاول .

## طبيعة فلسطين الجغرافية والاجتماعية

والى جانب هذه العوامل الرئيسية فان هناك عدة عوامل اضافية قد تبدو ثانوية - وقد يصبح في الامكان ازالتها مع الوقت - ولكنها ذات تأثير في العمل الفدائي وقدرته على الاتساع والتصاعد . فالخلاف القائم مثلا حول ما اذا كانت طبيعة فلسطين الجغرافية ملائمة أو معوقة للعمل الفدائي الفلسطيني تؤكد حقيقة واحدة هي ان هذه المسألة لم تدرس علميا وتفصيليا بدرجة كافية لتحديد مقاييس سليمة فيها . ( هناك رأي - على سبيل المثال - يقول انه يجب الاستفادة من جبال نابلس التي تغطيها أشجار الزيتون ومن جبل تل العصفور الذي تبلغ أعلى قمة فيه أكثر من ألف متر ) .

ومهما يكن من أمر فانه لا ينبغي التصور بأن آثار العمل الفدائي الفلسطيني محصورة في نطاق الآثار المادية الباشرة للعمليات العسكرية . ان العمل الفدائي - حتى في حدوده التكتيكية - يمد آثاره الاقتصادية والنفسية الى أبعد من هذا النطاق . ويزيد من حالة القلق التي تسيطر على الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة .

- يزيد اهتزاز الأوضاع الاقتصادية عبر تأثيره على حركة انتقال رؤوس الاموال الى المزارع الاسرائيلية .
- يساعد على الحد من الهجرة الى اسرائيل .
- يزيد عملية الهجرة العكسية من اسرائيل الى الخارج .

ومع ذلك فان العمل الفدائي الفلسطيني - على المدى البعيد -

## المكتبة الوطنية وفروعها

### البحرين - الخليج العربي

وكلاء توزيع كتب ومجلات وأدوات مدرسية  
اطلبوا منها

مجلة « الآداب » ومنشورات « دار الآداب »

اتها قد توزعت على بلاد عربية - وغير عربية أيضا - ليست هي أساسا البلاد العربية المصيفة للاجئين الفلسطينيين الذين يشكلون السواد الأعظم من شعب فلسطين .

وفي ضوء هذه الحقيقة فليست هناك الآن طبقة بعينها تستطيع ان تدعي او تطلب حق قيادة حرب المقاومة الفلسطينية . وفي هذا الصدد فان حركة « فتح » تطرح رأيا على النحو التالي : « ان الفرق بين الحزب وحركة التحرير الوطنية هو ان الحزب يهدف الى تحرير الإنسان - الى تحرير طبقة من الناس - بينما تهدف حركات التحرير الى تحرير الأرض ولا تولي مشكلة تحرير الإنسان - قبل وصولها الى المرحلة النهائية من تحرير الأرض - أية عناية تذكر . ان التناقض الرئيسي في مجتمع خاضع للاحتلال هو وجود المستعمر » .

على انه بالنسبة للعمل الفدائي الفلسطيني بالذات فان السراي المستقر هو ان العمليات الفدائية ليست سوى تمهيد لحرب تحرير شعبية شاملة ، مادة الكفاح فيها هو الشعب العربي بأسره ، انما الشعب الفلسطيني « رأس حربة » .

وعندما تدخل المقاومة الفلسطينية المسلحة مرحلة الثورة تصبح في حاجة الى مؤسساتها الداخلية مما يعطيها شخصية متقدمة . فهي بحاجة مثلا الى محاكم عسكرية تعمل بقوانين وتصدر أحكاما ، والى صناعات للاكتفاء الذاتي لنشاطها العسكري . وحتى ينقل العمل الفدائي من مرحلة اطلاق العدو بصورة محدودة نسبيا الى مرحلة تقويض دائم لاستقرار العدو لا بد له من ان يحقق ثلاثة شروط : الشمول والاستمرار والعمق . والشمول هو ان يغطي العمل الفدائي الأراضي المحتلة بأكملها سواء السابقة على يونيو ٦٧ أو اللاحقة له بدلا من ان يتركز على مناطق الحدود . أما الاستمرار فهو عدم الانقطاع عن كبل الضربات للعدو يوما بعد يوم . والعمق هو تسديد الضربات باحكام الى الاهداف ، عسكرية كانت أم غير عسكرية ، بحيث تلحق اشد الضرر بالعدو وتنال من طاقاته وقدراته العسكرية والاقتصادية

## والبشرية والعنوية .

فهل يتجاوز هذا طاقات الشعب الفلسطيني ؟ شروط ذلك ان يتم توحيد المنظمات مع تنسيق حقيقي وعلى ارفع مستوى بين الحركة الفدائية الفلسطينية والجهات العربية التي تؤمن بها مع احتفاظ الاولى باستقلاليتها الكاملة . ان الحركة الفدائية الفلسطينية لا يمكنها في النهاية ان تنمو وتصبح ثورة دون حماية حقيقية واكيدة من الشعب العربي .

ومن أجل هذا النمو الضروري من مستوى المقاومة المسلحة المحدودة الى مستوى الثورة الشاملة ينبغي تحقيق ضرورات أساسية في استراتيجية العمل الفدائي :

- طول النفس .
- ايجاد مجالات جغرافية اعمق من المناطق المتاخمة لاسرائيل .
- لا بد من وجود القدرة على الرد والاستعداد له ، بمعنى انه في حالة قيام المقاومة الفلسطينية - او العمل العربي بوجه عام بالضربة ( ا ) - يقوم العرب في الوقت ذاته بالاعداد الجسدي للضربة ( ج ) حتى تكون بمثابة الرد على الضربة ( ب ) المتوقعة من الجانب الاسرائيلي طبقا لاسلوب الضربات الانتقامية والثأرية الاسرائيلية . ومن الواضح ان اسرائيل تعمل بهذا الاسلوب نفسه وربما على مدى اوسع .

## عوائق أمام العمل الفدائي

ولا يغيب عن اذهاننا ان تحقيق هذه الضرورات يواجه عدة عوائق :

- العمل الفدائي لم يتمكن لآن من تعبئة الشعب كله تعبئة شاملة ومنظمة ( ولا أقصد نظامية ) .
- العدو متمرس بحرب العصابات .
- الظروف المتاخمة القاسية صيفا وشتاء ، والتضاريس الطبيعية البسيطة التي تكشف الفدائي أكثر مما تحميها .
- عدم وجود حدود عربية واحدة .
- طائرات الهليكوبتر الاسرائيلية تستطيع ان تصل الى سماء أي منطقة في سماء فلسطين المحتلة قديما في غضون ٧ دقائق فقط !
- مشكلة ايجاد قواعد عاملة للعمل الفدائي الفلسطيني داخل اسرائيل أي داخل فلسطين المحتلة قديما . وهذا عمل لا يزال في بدايته .
- تكوين جيش نظامي للثورة الفلسطينية يحمي ظهر الفدائي ويزوده بالاسلحة ويكفل له التدريب ( دليل بداية وجود هذا الجيش المدافع الثقيلة ، ووسائل النقل والمنشآت الانتاجية الدائمة ) . ولهذا الجانب ايجابياته التي تساعد على تخطي هذه العقبات أمام العمل الفدائي الفلسطيني . ان العمل الفدائي هو النشاط العسكري العربي الوحيد الذي لا يخضع لضغط الاستعمار الاميركي مباشرة - كما هو الحال بالنسبة للنشاط العسكري العربي النظامي . ان الاستراتيجية الفدائية الفلسطينية هجومية في طابعها الاساسي ، وقد فشلت محاولة اسرائيل المتكررة - في الكرامة والسلط والاغوار الشمالية - لالزامها مواقع الدفاع . ان اسلوب الهجوم الخاطف الذي تعتمد عليه اسرائيل لا يصلح لضرب العمل الفدائي بالشكل الذي افلح به في تحطيم القوة العسكرية النظامية .
- ان حرب التحرير حرب قاسية وطويلة . هذه حقيقة التاريخ والتجارب الماثلة للشعوب ، وينبغي ان تظل ماثلة في اذهان كل العرب . والعمل الفدائي الفلسطيني مطالب بتحقيق استراتيجية حرب التحرير بان يتركز على اكثر المساحات التي تكمن فيها قوى الجماهير الفلسطينية ومطالب في الوقت نفسه بان يعمل وسط جماهير معادية - هي جماهير السكان الاسرائيليين - وهذا مما يضاعف صعوبته ولا سبيل الى مواجهته هذه الصعوبة الا باستراتيجية عسكرية وسياسية هدفها تحطيم اقتناع العدو بقضيته .

سمير كرم

القاهرة

## دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١ - نظام الاسلام ( العقيدة والعبادة )

للاستاذ محمد المبارك

٢ - المجتمع الانساني في ظل الاسلام

للشيخ محمد ابو زهرة

٣ - نظام الحكم في الاسلام

للدكتور محمد عبد الله العربي

٤ - مدى حرية الزوجين في الطلاق

في الشريعة الاسلامية ( دراسة مقارنة )

للدكتور عبد الرحمن الصابوني

٥ - نظام الاسرة وحل مشكلاتها في ضوء الاسلام

للدكتور عبد الرحمن الصابوني

٦ - اوصايا الخالدة

جمع وتحقيق عبد البديع صقر